

من مباحث "الاجتهاد" عند الأصوليين

ملخص محاضرة -3/ل/ فقه و أصول

2021 - 2020

الجزء السابع

مفهوم الترجيح:

لفظ الترجيح في الوضع يُطلق على معان، منها:

- التميل و التغليب ...
- إثبات الفضل في أحد جانبي المتقابلين ...
- الثقل (رجحان العقل = ثقله) ...
- اعتقاد الرجحان ...
- مطلق الزيادة و الثقل بأي شيء كان ...

في الاصطلاح الأصولي توزعت تعريفاتهم على ثلاثة اتجاهات:

1 - اتجاه جمهور الحنفية و الشافعية و بعض الحنابلة يرون أن الترجيح من فعل المجتهد، و تبعاً لذلك ذكروا له تعريفات منها أنه « إظهار قوة لأحد الدليلين المتعارضين لو انفردت عنه لا تكون حجة معارضة » ... عبد العزيز البخاري ... و أنه « تقوية أحد الطريقتين على الآخر ليُعلم الأقوى فيُعمل به و يُطرح الآخر » ... الرازي ...

2 - اتجاه بعض الحنفية و الشافعية و المالكية و الحنابلة يرون أن الترجيح صفة للأدلة، و تبعاً لذلك ذكروا له تعريفات منها أنه « اقتران أحد الصالحين للدلالة على المطلوب مع تعارضهما بما يوجب العمل به وإهمال الآخر » ... الأمدي ... و أنه « اقتران الأمانة بما تقوى به على معارضتها » ... ابن الحاجب ...

3 - اتجاه بعض الأصوليين من المتقدمين و المتأخرين جمعوا بين هذين الاصطلاحين ... و تبعاً لذلك ذكروا له تعريفات منها أنه « بيان الرجحان أي القوة التي لأحد المتعارضين على الآخر » ... التفازاني ... و غيره ...

هذا و من التعريفات المختارة أن الترجيح هو « تقديم المجتهد بالقول أو بالفعل أحد الطريقتين المتعارضتين لما فيه من مزية معتبرة تجعل العمل به أولى من الآخر » ... و بيانه: ❖ يكون التقديم بالقول عندما يقول المجتهد "العمل بهذا النص الشرعي أولى" أو "نأخذ بهذا النص الشرعي" أو "نميل إلى هذا الرأي" و مثاله ما قاله الشافعي في ترجيح حديث التعليل على حديث الإسفار في صلاة الفجر: «و بهذا نأخذ...» ...

❖ يكون التقديم بالفعل عندما يعمل (يفعل) المجتهد بمقتضى أحد الدليلين المتعارضين أو أحد الاحتمالين المتعادلين لدليل واحد ... و مثاله فعل ابن عمر راوي حديث خيار المجلس أنه رضي الله عنه لما عقد البيع و أراد تنجيذه خرج من المجلس، فعد هذا ترجيحاً لاحتمال التفرق بالأبدان هو المراد بالحديث الشريف ...

إشكال: هل إذا سكت المجتهد على عمل مقلد لمجتهد آخر يُعتبر ترجيحاً عنده؟

❖ يشمل لفظ "أحد الطرفين" كل يوصل المكلف إلى الأحكام الشرعية... من دليل متفق عليه أو مختلف فيه + قول لإمام + رواية لإمام + تخريج فقهي لإمام + احتمال لنفس النص الشرعي ...

شروط الترجيح:

اشترط الأصوليون لصحة الترجيح شروطاً، بعضها يتعلق بالدليلين (الراجح و المرجوح)، و بعضها يتعلق بالمرجّح به، و بعضها يتعلق بالمرجّح (المجتهد المرجّح)، و تفصيل ذلك:

أولاً: شروط الراجح و المرجوح، منها:

✓ عدم إمكان الجمع بين المتعارضين حقيقة أو تقديراً : فإن أمكن ذلك تعيين المصير إليه ... الشوكاني ...

✓ مساواة الدليلين المتعارضين في الحجية : ... « لا يصح الترجيح بين أمرين إلا بعد تكامل كونهما طريقتين، لو انفرد كل واحد منهما فإنه لا يصح ترجيح الطريق على ما ليس بطريق » ... الرازي ... « لا يصح الترجيح بين الأمرين إلا بعد تكامل كونهما طرفين، أما لو لم يتكامل كونهما طرفين، أو انفرد واحد منهما، فإنه لا يصح ترجيح الطرف على ما ليس بطرف » ... الشوكاني

✓ عدم كون الدليلين قطعيين : ... « اعلم أن الترجيح إنما يجري بين ظنيين، لأن الظنون تتفاوت في القوة، و لا يُتصور ذلك في معلومين؛ إذ ليس بعض العلوم أقوى و أغلب من بعض، و إن كان بعضها أجلي و أقرب حصولاً و أشد استغناء عن التأمل، بل بعضها يستغني عن أصل التأمل، وهو البديهي، و بعضها غير بديهي يحتاج إلى تأمل، لكنه بعد الحصول محقق يقيني لا يتفاوت في كونه محققاً، فلا ترجيح لعلم على علم، و لذلك قلنا إذا تعارض نسان قاطعان فلا سبيل إلى الترجيح ... » ... الغزالي

✓ عدم كون أحدهما قطعياً و الآخر ظنياً : ... « ... فإن قيل فهل يجوز أن يجتمع علم و ظن؟ قلنا لا، فإن الظن لو خالف العلم فهو محال؛ لأن ما علم كيف يُظن خلافه؟ و ظنّ خلافه شك، فكيف يُشك فيما يُعلم؟ ... » ... الغزالي

✓ ألا يعلم تأخر أحدهما : ... « إذا تعارض نسان على الشرط الذي ذكرناه وتأرخا فالمتأخر ينسخ المتقدم وليس ذلك من مواقع الترجيح » ... الجويني

✓ ألا يكون الترجيح في الأدلة العقلية التي تثبت العقائد : ...

✓ تحقق المعارضة بين الدليلين : بأن يوجد فيهما شروط التعارض سابقة الذكر ...

ثانياً: شروط المرجّح به، منها:

✓ كونه قوياً : مسلك الباقلاني و من تبعه إفضاء هذه القوة للقطع ...

✓ كونه وصفاً للمرجّح لا دليلاً مستقلاً : مذهب الأحناف أن يكون المرجّح به وصفاً تابعاً للدليل المرجّح غير مستقل بنفسه ...، و مذهب جمهور الأصوليين عدم اشتراط ذلك؛ فيجوز عندهم ترجيح دليل على دليل آخر لزيادة فضل فيه، سواء كان وصفاً تابعاً ككونه من أحوال الرواة و قوة السند ... أو دليلاً مستقلاً يصلح لإثبات الحكم لولا التعارض ...

حكم الترجيح:

مذهب جمهور الأصوليين وجوب الترجيح و العمل بالدليل الراجح ... « العمل بالدليل الراجح واجب فيدل عليه ما نقل و علم من إجماع الصحابة و السلف في الوقائع المختلفة على وجوب تقديم الراجح من الظنيين ...» ...الأمدي ... و ذهب قلة منهم إلى عدم وجوب الأخذ بالترجيح، فإذا تعارض دليلان و لأحدهما فضل يصلح للترجيح يميلون إما للتخيير أو التسايط أو الأخذ بالأحوط ...

أنواع الترجيح:

... « اعلم أن الترجيح قد يكون باعتبار الإسناد، و قد يكون باعتبار المتن، و قد يكون باعتبار المدلول، و قد يكون باعتبار أمر خارج، فهذه أربعة أنواع، و النوع الخامس: الترجيح بين الأقيسة، و النوع السادس: الترجيح بين الحدود السمعية ...» ... الشوكاني ...

وظيفة بحثية:

- 1- ابحث عن 5 نماذج تطبيقية لإزالة التعارض ؟
- 2- ابحث عن أمثلة لكل نوع من أنواع الترجيح ؟